الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

بنية المكان في رواية "خطيئة مريم " لـِ : كوسة علاوة

مذكرة تخرّج مقدّمة لِإستكمال مُتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبين :

بضياف يوسف

بن الشيخ أحمد

إشراف الأستاذ:

بن حوَّد أيوب

الموسم الجامعي :2022/2021م-1443هـ

شكر و عرفان

يقول الله تعالى في مُحْكَمِ تنّزيله: ﴿ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢٣٧ ﴾ سُورَةُ البَقَرَةِ

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ؛ فالحمد و الشكر له أولا و آخرا على توفيقه لنا أن أتممنا عملنا هذا ؛ فهو أحق بالحمد و الشكر ، ثم الثناء و الامتنان للأستاذ "بن حوّد أيوب" الذي كان لنا خير العضد ، و أفضل السند في إشرافه على هذه المذكرة المتواضعة ، فالأستاذ لم يأْلُ جهدا و لم يدخر وقتا ، و لم يبخل بنصيحة ، فكان نعم الموجه بعد الخطإ ، و نعم المشجع بعد الصواب ، فله منا الدعاء بالتوفيق و السداد من رب الخلق و العباد ، كما لا يفوتنا في هذا المقام أن نُنوّه بأعضاء لجنة المناقشة تكريما لهم بقبول مناقشة هذا العمل الذي نحسبه متواضعا ، كما لا يفوتنا في هذا المقام أن نجزل الشكر لكل من كان لنا معينا بالكلمة ، و مساعدا بما تسمح له الفرصة ، إن كان قاصياً أو دانياً ، و آخر دعوانا بمثل ما بدأنا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة و السلام على سيد الأنبياء والمرسلين .

مقـــدمـــــة

مقدمة :

استطاعت الرواية أن تحتل مكانة هامة بين الأجناس الأدبية في عصرنا هذا، وغدت بذلك تُسمى *ديوان العرب* مُزيحَة الشعر من منزلة الصدارة التي احتلها زمنا طويلا. وقد تكون هذه المنزلة التي اعتلتها الرواية في العصر الحديث لكونها تتميز بخصائص لا نجدها في الأشكال الأدبية الأخرى؛ فهي تعبر عن واقع الإنسان وانشغالاته الحياتية و التطورات التي تواكب حياته، فالرواية – بالفعل – مرآة تعكس حياة المرء بجميع تفاصيلها و حيثياتها.

و الرواية الجزائرية كان لها حضورها في الساحة الإقليمية والعربية؛ من خلال أعمال ثلة من الكتاب المتميزين أمثال : بن هدوقة عبد الحميد–حوحو أحمد رضا – بوجدرة رشيد – وطار الطاهر – ديب محمد ... وغيرهم كثر ، دون أن ننسى الروائية الجزائرية * مستغاني أحلام *

ترتكز الرواية على عناصر سردية ترتبط ببعضها البعض ارتباطا وثيقا، كالشخصيات والزمان و المكان و الحدث، و يعد المكان أحد أهم عناصر الرواية، فقد شغل بال النقاد والدارسين في بحوثهم و مقالاتهم؛ نظرا لأهميته في الرواية.

ولذلك ارتأينا أن نبحث في هذا العنصر المُهمّ في تشكيل الرواية ، مُتّخذين رواية جزائرية عينة في بحثنا الموسوم بـ : *بنية المكان في الرواية * *رواية خطيئة مريم* للأستاذ الأديب الكاتب * كوسة علاوة * و يرجع اختيارنا لهذه الرواية لمجموعة من الأسباب نذكر منها :

- فضولنا الشخصي لمعرفة هذا العمل الإبداعي الجديد (الرواية).
- الكشف عن دلالات المكان في الرواية .
- محاولة متواضعة–منا– لإثراء المكتبة بهذا النوع من الدراسات .
- قلة الدراسات التي عالجت أعمال الكاتب الروائي كوسة علاوة .

و قد قام بحثنا على إشكالية رئيسية تتعلق بالبحث في بنية المكان، ودلالاته في هذا المنجز الروائي، وقد تولّدت عنها جملة من التساؤلات نوجزها فيما يلي:

- فيم تمثلت دلالة المكان في رواية خطيئة مريم لعلاوة كوسة ؟
- كيف تجلى حضور المكان في رواية خطيئة مريم لعلاوة كوسة؟
- كيف وظّف كوسة المكان في الرواية ؟
- ماهي دلالات الأماكن المفتوحة والمغلقة والأليفة والمعادية وأماكن الانتقال والإقامة ؟
- ماعلاقة المكان في الرواية بالشخصيات وبالوصف وبالزمان ؟

و للإجابة عن هذه الأسئلة ، وباعتماد المنهج السيميائي الذي رأيناه الأنسب ،اخترنا الخطة الآتية :

مدخلا ثم فصلين؛ تناولنا في المدخل المفاهيم اللغوية والاصطلاحية للمكان، والحيز، و الفضاء، بوصفها مفاتيح لقراءة ومقاربة هذا العمل الإبداعي، بينما الفصلان جاء فحواهما كالآتي : الفصل الأول وسمناه بـ :" أنواع الأماكن في رواية *خطيئة مريم*" و يتفرع منه ثلاثة مباحث ، فأمّا الأول فهو: "الأماكن من حيث الانغلاق و الانفتاح" ، و أمّا الثاني فهو: "الأماكن من حيث الألفة و المعاداة" بينما الثالث فهو : "الأماكن من حيث الإقامة و الانتقال" . الفصل الثاني عنْونّاه بـ : "المكان والعناصر الروائية في رواية *خطيئة مريم*" و هذا الفصل أيضا يتفرع منه ثلاثة مباحث كسابقه، جاءت عناوينها على الترتيب: "المكان و الشخصيات" ، و"المكان و الوصف" ، و"المكان و الزمان" . ثم تأتي الخاتمة لتكون محصلة للنتائج التي توصلنا إليها ، مُعتمدين في ذلك على مجموعة من المراجع أهمها : بوعزة محمد تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم دار الإيمان الرباط المغرب ط،2010 م، و لحميداني حميد، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي المركز الثقافي العربي بيروت لبنان ط 2000 بالإضافة إلى مرتاض عبد المالك، في نظريه الرواية، بحث في تقنيات السرد ، عالم المعرفة ديسمبر 1998 وكذلك باشلار غاستون جماليات المكان،تر،غالب هلسا المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع بيروت لبنان ط1984،2

وعلى غرار كل بحث ، قبل أن يرى النور واجهتنا بعض الصعوبات منها ، ضيق الوقت باعتبارنا أصحاب مهنة شاقة و متعبة تأخذ منا الوقت ، فضلا عن أن دراسة المكان في العمل

الروائي أمر متشعب و متداخل ،وقد دُرِسَتْ بنيةُ المكان ، في رسائل سابقة، كرسائل الدكتوراه، منها " صورة المكان ودلالاته في روايات واسيني الاعرج للطالبة " جوادي هنية " جامعة محمد خيضر ببسكرة، ورسائل الماستر ، منها " البنية السردية في رواية امرأة بلا ملامح ل "كمال بركاني" ،جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، لكن هذه الرواية في حدود علمنا لم تدرس من قبل .

المدخل :

(المكان والمفاهيم المجاورة)

1.المكان:

1.1 لغة

2.1 اصطلاحا

2. الحيز :

1.2 لغة

2.2 اصطلاحا

3. الفضاء :

1.3 لغة

2.3 اصطلاحا

المدخل (المكان والمفاهيم المجاورة)

مفهوم المكان:

لغة:

لا تختلف المعاجم العربية في مفهوم المكان ، وأكثرها دراسة له هو لسان العرب "لابن منظور" بل إن القواميس أغلبَها تعتمد في هذا المفهوم على" لسان العرب " ، فقد وردت في مادة (م ك ن):<< المكان الموضع ، والجمع أمكنة ، وأماكن جمع الجمع >>[1]

وفي معجم الوجيز << المكان : المنزلة ، يقال : هو رفيع المكان ، والموضع جمع أمكنة>>[2]

اصطلاحا:

للمكان كبير الأهمية في الرواية فلا يمكن أن نتصور خطابا سرديا دون فضاء مكاني، ويكون غالبا خياليا يختلف عن المكان في الواقع.

يقول قريفل:<<هو الذي يؤسس المحكي لأنّ الحدث في حاجة إلى مكان.....تقدر حاجته إلى فاعل ....وإلى زمن ....والمكان هو الذي يُضْفي على التخيل مظهر الحقيقة>>[3] .

ويؤكد هذا الكلام لحميداني حميد على أن المكان :<<هو الذي يؤسس الحكي في معظم الأحيان لأنه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة>>[4].

وقد أجمع النقاد على أن المكان هو مؤسس لحكي الرواية أو أيّ فنّ إبداعيّ آخر وعلى أن المكان يلبس الخيال ثوب الحقيقة وفي سياق ذي صلة يضيف عاشور عمر: <<إن المقصود

[1] -ابن منظور ، لسان العرب ، ج 13، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، ص 176.
[2] -مجمع اللغة العربي ، الوجيز ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 1980 ، ص 546.
[3] – جنيت وآخرون ، الفضاء الروائي ، تر، عبد الرحيم ،افريقيا الشرق، الدار البيضاء،المغرب،ط2008، ص137.
[4] – لحميداني حميد ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ،ط1 1991 ص65.

بالمكان في الرواية هو الفضاء التخيلي الذي يصنعه الروائي من كلمات ويضعه كإطار تجري فيه الأحداث>>[1].

فالمكان عامل أساسي في السرد بحيث:<<لا يمكن تصور حكاية بدون مكان فلا وجود للأحداث خارج المكان ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في كل مكان محدود وزمان معين>>[2].

ويعرفه الناقد الجزائري "عبد المالك مرتاض" قائلا: <<هو كل ما عنى حيزا جغرافيا حقيقيا، من حيث نطاق الحيز في حد ذاته، على كل فضاء خرافي أو أسطوري أو كل ما يندرج على المكان المحسوس كالخطوط و الأبعاد و الأحجام والثقال والأشياء المجسمة مثل الأشجار والأنهار وما يجسد هذه المظاهر الحيزية من حركة أو تغيير>>.[3]

و هذا يعني أنّ المكان ليس مجرد شكل خارجي و إنما يعد أداة تزداد قيمتها كلما كان أكثر نفعا في العمل الروائي.

الحيز:

لغة:

جاء في لسان العرب «الحيز: الحور والحيز: سير الرويد، السوق اللين»[4] ويرى الفراهيدي أنّ حيّز الدار: مما انضمّ إليها من المرافق والمنافع، وكل ناحية حيز على حدة.

فالحيّز إذا هو الضمّ والجمع للشيء، كأن يحوز شخص قطعةً من الأرض ويُعلّم حدودها، فتكون ملكه، وتشمل كل الموجودات بداخلها، ولا تحق لغيره.

---

[1]– عاشور عمر ، البنية السردية عند الطيب صالح، البنيه الزمانية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ،ط2010ص29.

[2]– بوعزة محمد ، تحليل النص السردي ،تقنيات ومفاهيم، دار الإيمان، الرباط المغرب،ط1 ،2010 ، ص99.

[3]– لحميداني حميد ، المرجع السابق، ص 4

[4]– ابن منظور، المرجع السابق ،ص1069 .

اصطلاحا:

ورد في كتاب " في نظرية الرواية" لمرتاض عبد المالك <<أن مصطلح الفضاء من منظورنا على الأقل قاصر بالقياس إلى الحيّز؛ لأنّ الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريا في الخواء والفراغ ، بينما الحيّز لدينا ينصرف استعماله إلى النتوء والوزن والثقل والحجم والشكل ، على حين أن المكان نريد أن نَقِفه في العمل الروائي على مفهوم الحيّز الجغرافي وحده >>[1] فالحيز مصطلح يشير إلى العلاقة بين الأجسام داخل المكان ، وقد يُطلق على الأجسام نفسها بصفتها بُعداً يشغل مكاناً ما ولها مساحة محددة .

أما مبروك مراد عبد الرحمن فيعّرف الحيّز على أنه «التضاريس المكانية المحددة بحدود معينه في النص الأدبي سواءً كانت هذه التضاريس حقيقية أو مجازية سواءً أكانت واقعية أو فنية وتتمثل هذه التضاريس في الأمكنة المختلفة الواردة في النص الروائي>>[2] أي هو مجموع الأمكنة وما تحويه من أشياء داخل الرواية وهو محدد في النص الأدبي بخلاف الفضاء .

الفضاء:

لغة: فضا: الفضاء: <<المكان الواسع من الأرض والفعل فضا ،يفضو، فضوا فهو فاض>>[3]

فضا المكان وأفضى إذا اتسع ، <<الفضاء الخالي الفارغ الواسع من الأرض >>[4]

فالفضاء يوحي بالاتساع والفراغ والخواء والمكان جزء منه .

---

[1]– مرتاض عبد المالك ، في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ،عالم المعرفة ،الكويت ،ط ، 1998ص 121.

[2]– مبروك مراد عبد الرحمن ، جيوبوليتكا، النص الأدبي ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ط1 ،2002 ، ص8.

[3]– ابن منظور ، المرجع نفسه، ص 3430.

[4]– ابن منظور، المرجع نفسه صفحه 3431.

اصطلاحا:

يقول زيتوني لطيف أنّ الفضاء <<يرتبط الأدب والفضاء بعلاقتين: الأولى تكوينية قائمة في تكوين النص الأدبي والثانية مضمونية قائمة في موضوعه>>[1]أما محمد القاضي فيقول عن الفضاء:<<المقصود بالفضاء في القصص الفضاء التخيلي والمعطيات التي لها بالأعمال المتخيلة صلة>> [2].

ويضيف نجمي حسن «إن الفضاء الروائي ليس مجرد تقنية أو تيمة أو إطار للفعل الروائي بل هو المادة الجوهرية للكتابة الروائية ولكل كتابة أدبية»[3] فهو أساس الكتابة الروائية .

أما الناقد سعيد يقطين فقد أعطى للفضاء ميزة الاتساع والمجال المفتوح اللامحدود حين يقول: «إن الفضاء أعم من المكان، لأنه يشير إلى ما هو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي وإن كان أساسيًا إنه يسمح لنا بالبحث في فضاءات تتعدى المحدد والمجسد لمعانقة التخييلي والذهني، ومختلف الصور التي تتسع لها مقولة الفضاء»[4] أي أنّ الفضاء له ميزة الاتساع والمجال المفتوح اللامحدود والخيال الواسع .

والفضاء كما يقول مرتاض عبد المالك: «هو المصطلح الشائع بين كثير من النقاد العرب ، جديد في الاستعمال النقدي العربي المعاصر بحيث لا نعتقد أننا نصادفه في الكتابات العربية التي كُتبت منذ ثلاثين عاماً، ولقد جاء استعماله نتيجة المصطلحات الجديدة التي دخلت اللغة وخصوصا الفرنسية والإنجليزية»[5] فالفضاء موجود على امتداد السرد وهو حاضر في اللغة وفي التركيب وفي حركية الشخصيات وفي الإيقاع الجمالي لبنية النص الروائي، على رأي حسن نجمي.

---

[1]- زيتوني لطيف ، معجم مصطلحات نقد الرواية مكتبة لبنان ناشرون ، دار النهار للنشر ، ط2002 ، ص127.

[2]– القاضي محمد، مجموعة مؤلفين ،معجم السرديات ط 1 ،2010 الرابطة الدولية للناشرين ص306.

[3]– نجمي حسن ،شعرية الفضاء السردي، المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي ،المغرب ط1، ص 59.

[4]– يقطين سعيد ،قال الراوي البنايات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي المغرب ط :1 ، 1997 ،ص240.

[5]– مرتاض عبد المالك ، المرجع السابق ، صفحه 122.

الفصل الأول : أنواع الأماكن في رواية "خطيئة مريم " لعلاوة كوسة

المبحث الأول : الأماكن من حيث الانغلاق والانفتاح

المطلب الأول :

1. الأماكن المغلقة

1.1 الجامعة

2.1 المنزل

3.1 الغرفة

4.1 الفندق

5.1 المستشفى

6.1 السجن

المطلب الثاني :

2. الأماكن المفتوحة

1.2 المدينة

2.2 إمارة الشارقة

3.2 القرية

4.2 الحديقة

5.2 الصحراء

6.2 المقبرة

7.2 الجبلان

المبحث الأول: الأماكن من حيث الانغلاق والانفتاح.

المطلب الأول: الأماكن المغلقة

للمكان دور كبير في كل عمل روائي ،إنْ كان في متن العمل أو مجسما على الأرض ،كما هو الحال في المسرح والمكان نوعان: مغلق ومفتوح ؛فأمّا المغلق هو الذي تكون مساحته محدودة وهو مكان إقامة الشخصيات ولقد حاولنا جاهدين أن نعدد في رواية "خطيئة مريم" بعض الأماكن المغلقة التي جرت فيها الأحداث ومنها :

الجامعة:

حيث نخبة المجتمع و صفوة الناس ،الجامعة منارة العلم ومكان التقاء المثقفين وفي رواية "خطيئة مريم" كان الحديث حول الجامعة مقتصرا في الأغلب على قاعة المحاضرات في كلية الآداب ، حيث هناك "علاء" مُدرسا ومحاضرا في مُدرج الجامعة الذي تتخذ منه مريم الطالبة المثابرة الحريصة أقصى اليسار، وهي تحمل في عينيها الكثير من الدلالات والمشاعر:<<هي تلكم التي تجلس إلى أقصى اليسار في الصف الأول لم تغب يوما ولم تتكلم يوما ولكنها لم تفتقد إلى التركيز لحظة>>[1].

اعتبرنا الجامعة مكانا مغلقا لأّنها لا تسمح بدخول الغرباء عنها غير أولئك الذين يملكون الحق .

تحضر الجامعة في روايتنا "خطيئة مريم" باعتبارها ملتقى المثقفين والشغوفين بالعلم والمعرفة فيها يلتقي الأستاذ "علاء" مع زملاء المهنة الشريفة يزاولون أنبل عمل، يشاركون في الملتقيات ويجتمعون في الندوات :<<تحضن صديقك بقوة ، لم تلتقيا منذ أكثر من شهر ، منذ آخر ندوة بكلية الآداب حيث جمعتكما المنصة معا بين صرامة الأكاديميين وجنون الشعراء>> .[2] يتبين لنا

[1]– الرواية ،ص14.

[2]– الرواية، ص17.

من خلال هذا المقطع أن الجامعة و تحديدا كلية الآداب هو المكان الذي يجمع و يجتمع فيه علاء و زملاء المهنة للمناقشة و التدريس و إلقاء الشعر و الاستماع للقرائح التي تجود بنظمه.

المنزل:

مرتع الإنسان الأول ومهده وحضنه الدافئ الذي لا يمكن أن يجد له بديلا ، هو السكينة والراحة والهدوء، هو المكان الذي يجمع الماضي والحاضر والمستقبل ،يقول غاستون في كتابه جماليات المكان : « فبدون البيت يصبح الإنسان كائنا مفتتا »[1] . فغاستون يبين لنا أن قوة الإنسان و قيمته تكون بوجود البيت فهو ليس مجرد جدران و أثاث و مستلزمات . تقول الرواية :<<يحس بدفء شتوي قربهما، وببرد وسلام صيفي في حضرتهما ينتظر الصبح الذي سيرافق فيه مريم إلى مكان تركته مفاجأة له >>[2] ففي هذا المقطع نجد مفردات : الدفء/السلام / الصبح .. وهي كلها أقرب إلى البيت في جوهرها و حقيقتها.

وفي الرواية ذِكْر لمنزل مريم مع جدتها وعلاء مع أبنائه ومروان و..... ولعلَّ العامل المشترك بينهم جميعا أنهم يرتاحون فيه وترتاح مشاعرهم وأحاسيسهم ويطلقون فيه أحلامهم كما جاء في الرواية <<نامت مريم ليلتها وهي تتمنى أن تصبح على فرح وعاد مروان إلى بيته مسرورا بلقاء صديقه وفرحا بأنه نجح في تحضير مفاجأة سارة له>>[3].

الغرفة:

فرع من البيت ،قد يكون لشخص واحد أو أكثر، يمارس فيها المرء نشاطه اليومي ،فيه ينام ويرتاح ويكتب ويحلم ،كما أشار الروائي إلى ذلك، كم كانت مريم تراودها الأحلام في غرفتها <<حين خلت مريم بذاكرتها في غرفة نومها سعدت لأن جدتها قضت يوما جميلا على غير العادة وأنها نامت في أول استلقاء على سريرها المريح وفي وجهها مسحة فرح جميل>>[4].

---

[1]– باشلار غاستون ، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، مؤ الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع بيروت لبنان ط2 ،1984 ،ص38.

[2]– الرواية، ص45.

[3]– الرواية ،ص29.

[4]– الرواية ،الصفحة نفسها.

وفي موضع آخر يقول:<<وبعد غياب طويل ها هي مريم تطير الآن فرحا في غرفتها بعد أن أخبرها ابن عمتها عيسى أنه سيصل مدينة قسنطينة>>[1].

ومن خلال بعض المقتطفات نجد أن الغرفة مكان تلجأ إليها الشخصيات، يُروِّحون فيها عن أنفسهم ويقضون بعض أوقات السعادة بين أنفسهم أو بين أفراد عائلتهم وأقاربهم، مريم مع جدتها، وعيسى مع ابنيه ومع ابن عمته عيسى . في الغرفة حيث الأحلام تبدأ بذرة تنمو رويدا رويدا وتسقى بالسعادة و الفرح في المنزل و توفر لها كل الظروف المناسبة حتى تصل عنان السماء.

الفندق:

إذا كانت الغرفة والبيت للإقامة الدائمة المستقرة ؛ فإن الفندق للإقامة المحددة لفترة زمنية معينة ولقد كان الفندق كمكان حاضرا في رواية "خطيئة مريم " ، فهو مكان التقاء "علاء" بأصدقائه الشعراء القادمين من كل فجّ عميق يناقشون فيه قضايا الشعر قديمه و حديثه و يستعدون للإلقاء في الجامعة ، ففي أحد المقاطع من الرواية : << فكر الآن في أصبوحة الشعر غدا بكلية الآداب وفي النص الذي سيختاره للقراءة وفي أصدقائه الشعراء الذين سيلتقيهم بفندق المدينة حيث اجتمعوا قبل الموعد>>[2]. و في مكان آخر يقول الروائي : << هناك في فندق المدينة كان الضيوف و المنظمون يتبادلون التحايا و يتعارفون فيما بينهم ، كان قيس و مروان و عبد الكريم و ناصر و نور الدين و يوسف في حركة دؤوب ، استقبال و تنظيم و توجيه في ساعة متأخرة من الليل قد اجتمعوا في غرفة واحدة من غرف الفندق يتحدثون عمن وصل من الضيوف و عن برنامج الملتقى و أشياء أخرى ، وسرعان ما خلا قيس بنفسه و اتصل بعيسى ليطمئن عليه و يعرف توقيت وصوله >>[3].

[1]– الرواية ،ص44.

[2]– الرواية ،ص43.

[3] - الرواية ، ص 130

إننا نعد الفندق من الأماكن المغلقة باعتباره مكانا لا استقرار فيه فبمجرد انتهاء المصلحة وقضاء الحاجة يعود المرء إلى بيته وهذا ما يؤكده الناقد الشريف حبيلة :<< الفندق رغم تشابهه بالبيت فهو ليس للإقامة الدائمة إنما هو مكان انتقال يدل على الحركة وتنقلات الشخصيات>>[1] .

المستشفى :

يلجأ المرء إلى المستشفى قصد التداوي والاستشفاء وطلبا للعلاج من أمراض تصيبه كما يتجه إليه الناس زُوَّارًا لذويهم المرضى .

يحمل هذا المكان معاني الألم والحزن والأنين وفي أحد المقاطع من الرواية يقول الروائي في هذا الشأن:<< طلب مني أن أدخل إلى المستشفى وأضع المولود وأن أدعي بأنه تم الاعتداء عليَّ من طرف جماعه إرهابية ذات ليلة...>>[2] .

ولقد حضر المستشفى في رواية" خطيئة مريم" في حدثين هما: الحادث الأليم المميت الذي أودى بحياة فاتح وهو يقود سيارته في بلاد الأوراس<< وعادوا بك مساءً من المستشفى إلى قريتك التي أخرجت منها على عجل ذات قدر قاس...>>[3] كما ورد ذكر المستشفى في موضع البحث عن أم عيسى والحقيقة المرة التي أخفيت عن عيسى لسنوات . فالمقطعان المذكوران آنفا أحدهما يروي حدث الخطيئة التي ارتكبت، و أما الأخر فيروي فاجعة المنية التي أودت بحياة فاتح .

السجن :

السجن مكان يحمل دلالة الظلم والسيطرة والعبودية، والذل الذي يفقد المرء الاستمتاع بالحياة إذًا فالسجن << ليس فضاء انتقال أو حركة وإنما هو بالتأكيد فضاء إقامة وثبات وإن كان ذلك بصفة مؤقتة وفضلا عن ذلك فإن الإقامة في السجن خلاف لما سواها إقامة جبرية>>[4] .

---

[1]– حبيلة الشريف ، بنية الخطاب الروائي، دراسات في روايات نجيب الكيلاني ،عالم الكتب الحديثة ،إربد ، الأردن، ط 1، 2010 ص217.

[2]– الرواية، ص176.

[3]– الرواية، ص151.

[4]– بحراوي حسن ، بنيه الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،المغرب ،ط 3، 2009 ،ص66.

لم يكن السجن في رواية" خطيئة مريم "حاضرا في أغلب الأحداث إلا قليلا وكان ذلك في الوقائع والأحداث الأخيرة من الرواية وتحديدا مع الطبيب الدكتور" عبد الرحيم والد وفاء" الذي زُجَّ به في السجن<< رغم أنه مجرم بمرتبة طبيب!! إذا كان الوالد قد أدركته النهاية المأساوية واقتيد إلى السجن الاحتياطي فأين يمكن أن تكون أم عيسى>>[1].

والد وفاء "الطبيب" عبد الرحيم "الذي كان سببا في معاناة "عيسى "نفسيا منذ صباه << لم يكن يدري أن أختاً له من أبيه هنا معهم .. إنها وفاء عازفة الناي ابنة الدكتور" عبد الرحيم "الذي يسكن الآن بين القضبان وتسكن المرأة التي غدر بها بين جدران بيت العجزة ، وقبالتها ابنها عيسى وأخته وفاء ولا يعرف الأخ أخته ولا يعرف الأخوان أن أم أحدهما هنا!! وزوجة أبٍ هنا أيضا !!>>[2] .

[1]– الرواية ،ص167.

[2]– الرواية، ص189.

المطلب الثاني: الأماكن المفتوحة:

لقد اهتم الدارسون المحدثون بدراسة ظاهرة المكان في الرواية من هنا التفت النقاد إلى دراسة الدور الذي تنهض به الأماكن في تحديد العلاقات بين الشخوص في إعطاء صفات لهذه الشخصيات وكيفية التعامل مع السرد الذي يتجه فيه المسار الحكائي.

لقد شهد المكان في الرواية شأنه شأن سائر الأدوار القصصية تطوراً عبر التاريخ، سواء فيما يتعلق بتصوره ذاته أو بتوظيفه في الروايات.

والأماكن المفتوحة هي أماكن واسعة تسمح للشخص أن يتنقل دون قيود وليست لها حدود مقارنة مع الأماكن المغلقة، وقد اعتبرها بحراوي حسن «مسرحاً لحركة الشخصيات وتنقلاتها وتمثل الفضاءات التي نجد فيها الشخصيات نفسها كلما غادرت أماكن إقامتها الثابتة»[1] ومن أبرز الأماكن المفتوحة في هذه الرواية نذكر:

المدينة: وهي تجمعات سكنية مختلفة الأجناس حيث تعدّ فضاءً مفتوحاً تتحرك فيها الشخصيات بكامل حريتها وتتيح إمكانية الاتصال بالعالم الخارجي.

أ-مدينة قسنطينة: وكثيرا ما كان علاء يرتادها خاصة حينما يتوجّه إلى صديقه مروان الشاعر المحامي، ومكتبه الذي يتوسط المدينة الجميلة، كما وصفها «تواصل المسير إليه ، فمكتبه يتوسط هذه المدينة الجميلة مدينة" قسنطينة " وحركة المرور كثيفة هذا الخميس الذي يعمر فيه السوق الأسبوعي للخضر والفواكه والملابس...» [2]

فعلاء ينتقل من سكون قريته إلى حركية المدينة الجميلة ولقاءاته مع أصدقائه فيها.

---

[1]- بحراوي حسن ، المرجع السابق ، ص 40.

[2]- الرواية. ص16.

ب-سكيكدة :هذه المدينة التي كانت سبباً في إسعاد عيسى، ودخوله في فرحة غامرة حينما عرض عليه علاء مرافقته إلى ملتقى الريشة والقلم المُقام فيها« اتّصل بعيسى ذات صباح وطلب منه أن يرافقه إلى ملتقى الريشة والقلم المُقام بمدينة سكيكدة الساحلية الخلابة، وسعِد عيسى كثيراً حين علم أن رواية بلقيس التي يعشقها قد كُتبت بهذه المدينة ذات صيفٍ جميلٍ>>[1].

ج-إمارة الشارقة :وهي من الأماكن البارزة في مسيرة علاء، وقد شكّلت مكاناً مفتوحاً يخلّصه من أمكنة ضاقت عليه بعد وفاة فاتح «كان علاء في أمسّ الحاجة إلى الهرب من أمكنة لم يعد بها فاتح»[2] وكان لهذا الهروب سبباً، وذلك لاستلام جائزة الشارقة للإبداع العربي التي حاز عليها بجدارةٍ واستحقاقٍ، يغادر لعلّه يرتاح قليلاً من حكاية عاشها بكل تفاصيلها.

2-القرية :

قرية رمادة: هذه القرية التي ولد فيها علاء، وكَبُرَ وترعرع هناك، يُحبّها بمناظرها وسكونها ،ويرتاح فيها من ضجيج المدينة «واستأذنته عائداً إلى بيتك هنالك في الريف البعيد عن مدينة قسنطينة بمسافة ساعتين ،هنالك في قرية رمادة مسقط القلب ومُرفع الرأس »[3].

<<رمادة مسقط قلبه وحنينه ورأسه، هنالك أصدقاؤه وأهله وزملاؤه في الدراسة والرعي وكرة القدم أحياناً »[4].

هذه القرية التي يتذكرها بكل تفاصيلها وممراتها، مع أغنامها التي كان يرعاها في سهولها الخصبة<< رمادة القرية الصغيرة التي تقع على الطريق الوطني بين مدينتين كبيرتين وعادةً ما يتموضع الصغار بين الكبار في أول المسيرة، رمادة هادئةً ببيوتها المتناثرة على سهول خصبةٍ

[1]- الرواية ،ص181.

[2]- الرواية، ص 156.

[3]- الرواية ،ص 17.

[4]- الرواية، ص 19.

غنّاءٍ على مدار العام>>[1]. رمادة هذه القرية التي يُحبّها علاء حبّاً كبيراً وهي راسخة في ذاكرته بأدّق تفاصيلها ، لأنها الحضن الدافئ الهادئ وفيها من يُحبّهم ويُجلّهم .

الحديقة: وهي من الأماكن العمومية المفتوحة، يقصدها الناس للتسلية والتخفيف من ضغط الحياة ومشاغلها والتمتّع بالمناظر والاستراحة.

«ورفعت هاتفك لتُطمئِن صديقك «مروان» أنّك في الطريق إليه، وأنّ موعدكما يكون بمكتبه ،لكنّه يطلبُ منك أن تنتظره قُرْبَ حديقة التسلية أو ينتظرك هناك لأن نفسه ضاقت من العمل ويريد أن يتنفس قليلاً...»[2] فالحديقة هي المتنفس وهي محطةٌ لكسر الرّتابة القاتلة وصمام أمانٍ للتخفيف من ضغط العمل .

كما أنها ملتقى الشعراء وأهل الأدب عامة، وقد كان هذا المكان هاماً؛ كذلك حيث جمعت فيه مريم أستاذها علاء وجدّتها لأول مرةٍ، وشكّل نقطة انطلاقِ الحوار بين مريم وأُستاذها الذي انتظرته لوقت طويلٍ «ولكن تساءلت الآن إنْ كانت مجرّد صُدفةٍ أن تلتقيها مجدداً بالحديقة العامة رفقة جدتها !!..»[3] فالحديقة حققت حلم اللقاء لدى حياة، كما أن الحوارات التي دارت فيها كان لها بالغ الأثر في قادم الأحداث ، وعلى نفسية الشخصيات في الرواية .

[1]– الرواية، ص18.

[2]– الرواية ،ص 21.

[3]– الرواية ،ص23.

الصحراء :

«في الصحراء يمتزج لون الرّمل بالسّماء وتنعكس في ذرّاته الناعمة الصغيرة حقيقتها الصلبة، وعندما يتصور المرءُ هذه السعة من الأرض قد تجمعت بتجمع هذه الذرات الصغيرة، يصبح العقل في منتهى الدِقة من البحث والسعي والاستمرار في مواصلة الحياة»[1].

فبهذا الفضاء الواسع، وجوّها الصافي يلوذ ويحتمي بها عيسى خاصةً وأنّها مصْدر رزق له من خلال عمله فيها وشعوره بالغُربة في مدينة قاسية وموحشة، رغم عُمرانها فوحشة الصّحراء أرحم من وحشتها .«أما زِلت في الصّحراء وحرّها ووحشتها، أتناسبك الظروف هناك؟ تناسب أو لا تناسب أمرٌ غير مُهم، تلك حتمية يا إبراهيم حرّ الصّحراء أفضل من لظى العباد، ووحشة الصّحراء أرحم من وحشة مدينة صرنا فيها غرباء >>[2].

المقبرة:

القبر هو آخر منازل الدنيا، وهو المثوى الذي ينام فيه الإنسان نومه الطويل إلى قيام الساعة، والمكان الأخير في الحياة الدنيا الذي يؤول إليه كُلّ من ذاق الموت؛ حيث السّكينة التامة والصمت المطلق والقبر مكان «يتوحّد فيه الزّمان والمكان فيتحولان شيئاً واحداً...فهو مكان لا متناه، يضمُّ كل أنماط المكان ودلالاته»[3].

والمقبرة عند علاء مكان لجمع الأحياء، ومكان يلتقي فيه الأحياء مع أمواتهم، وهي وديعة تحتضن الأحبّة والأصدقاء، ويُحسّ بالفرح كلما زارها «المقبرة لم تعد في نظري مكاناً نودّع فيه موتانا ونرحل حاملين الأسى والحسرات...المقبرة صارت وديعةً معي كثيراً، تحضن أحبتي أهلي وأصدقائي ... كلما زرت المقبرة أحسست بفرحٍ ينتابني ولا أستطيع تفسيره!!... صرت كلما تبعت

[1]– النصير ياسين ، الرواية والمكان، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق ،ط 1989 ، ص 120.

[2]– الرواية، ص99.

[3]– الطربولي محمد عيد ، المكان في الشعر الأندلسي، مكتبة الثقافة ، القاهرة ،ط1 ،2005 ، ص101.

جنازةً أشكرُ الميّت الذي استطاع أنْ يجمعنا نحن الأحياء بعد أن فرقتنا أشغال الحياة وشطحات الدنيا»[1].

الجبلان (جبل براو وجبل القطّار):

دائما ما تحْفرُ الجبال صورةً عظيمةً في نفوسنا، سواءً أكانت إيجابية تثير فينا مشاعر الجمال أم الرُّعب، بعلوّها الشاهق، وقوتها، وصلابتها، وكِبرها، ويُرافق الرّواية جبلان: هذا جبل" براو" وجبل "القطَّار" اللذان يحملان ذكريات الصبا لعلاء، فقد كَبُر و ترعرع بينها في رحلته للرعي، وتعلّم منهما الرّعاية والأمانة والرأفة والسؤال «كلما دخل علاء "رمادة" من الجهة الغربية كان جبل" القطَّار" عن يمينه شامخاً، وجبل" براو" عن يساره موغلاً في الآفاق يُحسّ أحياناً بأنّ الجبلين يحرسان القرية ربما أو يحرسانه، لكنّه تعلّم في المراعي، والجبال، الرّعاية والأمانة والرأفة والسؤال >>[2].

[1]– الرواية ،ص74.

[2]– الرواية ،ص18،ص19.

المبحث الثاني : الأماكن الأليفة والأماكن المعادية

المطلب الأول :

1. الأماكن الأليفة

1.1 الحديقة

2.1 المقبرة

3.1 قرية رمادة

المطلب الثاني :

2. الأماكن المعادية

1.2 الصحراء

2.2 المستشفى

3.2 بيت الأيتام

المبحث الثاني: الأماكن الأليفة والأماكن المعادية

المطلب الأول: الأماكن الأليفة:

يقول أحد النقاد واصفا هذا النوع من الأمكنة:<<هو ذلك المكان الذي يأتلف معه الإنسان ويترك في نفسه أثرا لا يمحى، كأن يكون مكان الطفولة الأولى ومكان الصبا والشباب ،وأي مكان نشأ فيه وترعرع وأصبح من مقوماته الفكرية الانفعالية والعاطفية إذ يثير هذا المكان الإحساس بالطمأنينة والأمن والذكرى >>[1] .

في حين يرى باشلار غاستون:<<المكان هو المكان الأليف وذلك هو البيت الذي ولدنا فيه أي بيت الطفولة إنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة وتشكل فيه خيالنا فالمكان في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا وتبعث فينا ذكريات بيت الطفولة ومكانية الأدب العظيم تدور حول هذا المحور>>[2] .

المتمعن في وصف باشلار للمكان الأليف يدرك أنه يحصره في البيت وهذا تقييد لا نراه مناسبا اذ الألفة ليست مرتبطة بالبيت فالشخصية هي التي تجعل المكان أليفا أو غير ذلك لأن عديد الأماكن تشعرنا بالطمأنينة والراحة النفسية. <<إنّ المكان الأليف متنوع تبعا لشعرية الشخصية.....وهناك أماكن غير المنزل تبعث الراحة والأمان للشخصية، وقد يكون المنزل نفسه معاديا للشخصية ، ويبعث للراحة والأمان ومن ذلك نستخلص أن المكان الأليف هو المكان الذي تشعر فيه الشخصيات بالألفة والأمان وهذا ما تناوله كثير من النقاد >>[3].

وروايتنا" خطيئة مريم" حُبلى بالأماكن الأليفة نذكر منها:

---

[1]– الخفاجي : أحمد رحيم كريم، المصطلح السردي في النقد العربي الحديث،دار صفاء للطباعة والنشروالتوزيع، ص427.

[2] – باشلار غاستون ،المرجع السابق، ص6.

[3]– خالدة حسن خضر، المكان في رواية الشماعية، جامعة بغداد ،كلية الآداب ،ط2 ، 2012ص122.

الحديقة: تعد الحديقة من الأماكن الأليفة المحببة عند الناس، فهي متنفسهم في المناسبات وغيرها وهي ملاذهم للترويح ونسيان المتاعب والهموم، وفيها ملتقى الأحباب والأصدقاء والأصحاب بين نسمات الهواء العليل الذي يشفي الغليل، وبصحبة الأزهار الخضرة والأشجار، وسنضرب مثلا عن ذلك في الرواية :<< لكنه يطلب منك أن تنتظر قرب حديقة التسلية وتنتظره هناك لأن نفسه ضاقت من العمل ويريد أن يتنفس قليلا>>[1].

وفي موضع آخر تقول الرواية :<< توقفت الجدة قرب بحيرة تتوسط الحديقة وانتظرت الأستاذ وطالبته حتى يدركها ودعتهما إلى قسط من الراحة على مقعد خشبي يسعهم>>[2] .

المقبرة :

على الرغم من أن المقبرة مكان غير أليف ومعاد لما تحمله من الصورة الذهنية عن الموت وفقدان الأحبة والخلان وانقطاع حبل العلاقة بين أعز الناس وأقربهم إلينا إلا أن رواية" خطيئة مريم" يظهر فيها صاحبها الأستاذ علاوة أنها مكان أليف محبوب يستعيد فيه ذكريات السعادة والأمل وفي هذا الجانب يقول:<<كانت المقبرة تملؤني حياة وانطلاقا وكانت القبور تذكرني بمتعة الحياة وأطوارها وألاعيبها>>[3] ويقول كذلك:<< كنت كل ما حققت نجاحا أو فوزا إلاّ وزرت قبر والدي كي أخبره و كي يقاسمني فرحتي أيضا >>[4].

ويردف الروائي قائلا :<< المقبرة لم تعد في نظري مكانا نودع فيه موتانا ونرحل حاملين الأسى والحسرات و شيئا من الانهزام... المقبرة صارت وديعة معي كثيرا،تحضن أحبتي أهلي وأصدقائي تساوي بينهم في شبر الأرض الذي يشغلونه تجمع بين الصغار والكبار بين الفقراء والاغنياء بين المشدودين إلى الحياة الدنيا وبين الموصولين بالدار الآخرة>>[5] .

---

[1]– الرواية، ص21.

[2]– الرواية ،ص24.

[3]– الرواية، ص73.

[4]– الرواية ،ص74.

[5]– الرواية ،ص74.

كل المقاطع السردية في الرواية توضح أن المقبرة مكان أليف غيرُ مُعادٍ في نظر الأستاذ علاوة كما يقول في الرواية:<< كلما زرت المقبرة أحسست بفرح ينتابني ولا أستطيع تفسيره>>.[1]

في جميع المقاطع السردية السابقة تبيّن من غير شك أن المقبرة تثلج صدر الأستاذ علاوة وتملؤه سعادة وفرحا كلما وطأت قدماه أرضها، قد يكون هذا خلافا لكثير من الناس وقد تكون فلسفة ورؤية خاصة به أو ربما تكون ظروف الحياة التي عاشها الأستاذ علاوة هي التي جعلته يصدر هذا الحكم .

- **قرية رمادة:**

وهي تمثل مسقط رأس علاء حيث الطفولة والمرح واللهو، مسقط الرأس ،هو الأمن والطمأنينة، هو الشوق وهو الشريان الذي يربط القلب بالأعضاء ولا يمكن لهذا الشريان أن ينقطع، و في الرواية يقول:<< هناك في القرية تلقى تعليمه الابتدائي في المدرسة الصغيرة الهادئة وهنالك تعلم الحروف ... والحب والخير تعلم في المراعي والجبال الرعاية والأمانة والرأفة والسؤال>>[2]، وفي مقطع آخر يقول الروائي " واستأذنته عائدا إلى بيتك هنالك في الريف البعيد ... هنالك في قرية رمادة مسقط القلب ومرفع الرأس>>[3].

نلاحظ في هذا المقطع أن الأستاذ علاوة كوسة صاحب الرواية لم يقل مسقط الرأس كما نردد ونقول وإنما قال مسقط القلب وأما الرأس فقال مرفع، هذا التركيب له دلالة عميقة جداً تبين و من دون ريب الإعتزاز الكبير والإشادة العظيمة بالبلدة التي ولد بها فنسب الرفعة الى الرأس ونسب المسقط إلى القلب .

[1]– الرواية، ص74.

[2]– الرواية، ص19.

[3]– الرواية ،ص 17.

المطلب الثاني: الأماكن المعادية (غير الأليفة)

يرى أحد النقاد أنّ المكان المعادي (غير الأليف) بأنه ذلك: <<الذي لا يرغب الإنسان العيش فيه كالسجون والمنافي أو يشكل خطرا على حياته كساحات الوغى، فلا يشعر في هذه الأماكن بالألفة والطمأنينة والراحة بل يشعر نحوها بالعداء والكراهية >>[1] فالمكان المعادي ليس في حدود معينة بل هو: <<عندما يشعر قاطنه بالغربة الموحشة ولا يستطيع أن يأتلف مع أهله ومواطنيه ولا تربطهم رابطة دم أو رابطة انتماء>>[2]، نوع العلاقة التي تربط الإنسان بالمكان تحدد لنا نوع المكان <<والمكان إذا لم تنسجم معه الشخصية سمي مكانا معاديا إذ يؤكد ذلك الصلة التي تربط الإنسان وانفعالاته فيؤثر كل منها في الآخر على وفق علاقة ألفة أو عداء>>[3] ويقول ناقد آخر <<يشكل المكان المعادي أحد الأماكن التي لا يمكن تجاوزها في أي نص ذلك أن الشخصيات تعيش في مكان واحد وهذا المكان إما أن يكون مألوفا أو معاديا؛ بمعنى أن ارتباط الشخصيات بالأماكن إنما هو ارتباط روحي له دلالته المادية و المعنوية التي لا يمكن التغاضي عنها، فالمكان المعادي نقيض المكان الأليف>>[4].

وفي هذا الإطار نجد في رواياتنا "خطيئة مريم" أماكن معادية (غير أليفة) نذكر بعضها:

الصحراء :

فضاء مترامي الأطراف لا تحده الأبصار ولا تدركه الأنظار؛ يبعث في النفوس الرهبة والخوف ،كانت العرب تسميها أمّ عُبيد لأنها تُذّل عابرها ، وتتعب سالكها إلاّ من تمرّسها وأدرك

[1]– الخفاجي، أحمد رحيم: المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، ص426 .

[2]– العبيدي على العزيز : الرواية العربية في البيئة المغلقة (رواية الأسر العراقية أنموذجا) دراسة فنية ، ط1 دار فضاءات ، عمان 2009ص 240.

[3]– السعدون ، نبهان حسون ، المكان في قصص علي الفهادي ،مجلة دراسات موصلية، كلية التربية ،جامعة الموصل،العدد29 ،2010 ص 12.

[4]– عبيد محمد صابر : مغامرة الكتابة في تمظهرات الفضاء النصي، دار غيداء للنشر والتوزيع ،عمان ، الأردن ،ط1،2016 ص 178.

أسرارها، وفي روايتنا "خطيئة مريم" ما يعبر عن ذلك فالشخصية "عيسى" يعمل حارسا في الصحراء بشركة بترولية كبيرة، يعمل بعيدا عن مسقط رأسه بمئات الكيلومترات، يقول الروائي: <<أما زلت في الصحراء وحرّها ووحشتها أتناسبك الظروف هناك>>[1] ، كما قال في موضع آخر: << كنت في الصحراء وحيدا بين الوحوش والعقارب شبه ميت من الصوم والفاقة>>[2] ففي هذا المقطع يصور لنا الروائي أن الصحراء لا يستطيع أن يعيش فيها المرء وإن عاش فهو أشبه بالميت نظرا لظروف الحياة الصعبة وفي موضع آخر من الرواية يقول << في حافلة ليلية يحمل عيسى متاعه وبعضا من غربته إلى صدر صحراء تسع حيرته و يحمل ما تيسر من كتب تملأ فراغه هناك حيث يصدق فعلا القول بأن خير جليس في الصحراء كتاب>>[3] .

إن المقاطع المذكورة,آنفا من "رواية خطيئة مريم" وما تحويه من مفردات تلازم الصحراء: الوحدة الوحوش / العقارب /الحر/ الوحشة/ الفاقة /الفراغ... تثبت بما لا يدع مجالا للريبة والشك أن الصحراء في نظر الروائي أو في متن الرواية مكان معاد غير أليف.

المستشفى:

مكان يلجأ إليه المرء للعلاج من الأمراض والأسقام ويلوذ به الإنسان لتشخيص علله البسيطة والمستعصية، المستشفى مكان يذكرنا بالألم وقد يذكرنا بالأمل وفي رواياتنا "خطيئة مريم" فإن المستشفى مكان معاد غير أليف فهو يذكر علاء بحادثة المرور المميت لأحد أعز وأقرب الناس لديه ابن أخيه فاتح تقول الرواية :<< ركنت سيارتي في موقف محروس جوار المستشفى أسرعت داخلا تاركا خطواتي ورائي ...أسرع أكثر إلى أي مكان أجدك فيه يا فاتح ألمح وجوها عبوسة جمدها النبأ وجمعتها الفاجعة في ليلة طارئة... اقتربت منهم وما زلت أمني النفس بأنك ما زلت حيا>>.[4]

---

[1]– الرواية، ص99.

[2]– الرواية ،ص 120.

[3]– الرواية ،ص 105.

[4]– الرواية ،ص 150.

كما ذُكر المستشفى في مواضع أخرى من الرواية وتحديدا في إطار البحث عن أم عيسى بَحْثٌ أرَّق عيسى كثيرا، نفسياً و اجتماعياً، وفي هذا الصدد تقول الرواية : <<منذ ذلك اليوم اقترب منها زميل لها في العمل وهو طبيب وطلب منها خدمة ما خارج أسوار المستشفى الجامعي كان يقصد أن ترافقه إلى العيادة الخاصة التي يمتلكها>>[1]، وفي مقطع آخر يقول الروائي: << طلب مني أن أدخل المستشفى وأضع المولود و أنْ أدّعي بأنه تم الاعتداء عليَّ من طرف جماعة إرهابية ذات ليلة وهددني إن كشفت الأمر >>[2] كل المقاطع المذكورة سابقا توضح لنا أن المستشفى مكان غير أليف "معاد" فهو المكان المرتبط بالألم والسقم، هو المكان الذي تثبت فيه الخطيئة والجرم من أشباه البشر.

بيت الأيتام:

أو ما يصطلح عليه بمركز الطفولة المسعفة تسميتان لمعنى واحد ؛هو مركز من المراكز التي تشيدها الدولة قصد الاعتناء بشريحة من الناس ضحايا ذنوب ارتكبت. يعد بيت الأيتام أو دار الأيتام مكانا معاديا غير أليف للإنسان لأنه يمثل نقيض الفطرة ،ويمثل معاناة الإنسان الذي فك ارتباطه بأعز شخص على وجه الأرض إنْ طوعا أو كرها وفي رواية "خطيئة مريم" ذكر "بيت الأيتام" في عديد المرات وتكرر، في كثير من الصفحات ، وكان مرتبطا بشخصية عيسى الباحث عن أمه ونحاول أن نقتصر على بعض المقاطع يقول الروائي: << لا يعرف أصله ولا يعرف والديه يعرف الآن شيئا واحدا وهو أنه وجد في بيت الأيتام وأنه يوما ما سيتعرف على والديه وأمه بالخصوص >>[3]. و يقول في مقطع آخر:<< يكبر عيسى ويدرك أن صديقه يسكن بيت الأيتام أو كما يسميه بعضهم مركز الطفولة المسعفة تألم عيسى كثيرا منذ صباه الأول حين أدرك أن صديقه يتيم من دون والدين و من دون بيت>>[4] .

[1]– الرواية، ص 165.

[2]– الرواية ، ص 176.

[3]– الرواية، ص 81.

[4]– الرواية، ص98–99.

كما يقول الروائي "علاوة كوسة" في موضع آخر من الرواية في هذا الشأن: << منذ أكثر من عشرين عاما جاء إلى هذه الحياة من أب وأم طبعاً فليس نبياً حتى يكون من دون والد، فتح عينيه هناك بمركز الطفولة المسعفة ببيت الأيتام هنالك تربى لأيام من دون حليب أمه بعيدا عن صدرها الحنون وحضنها الدافئ>>.[1] تكفينا لفظة *الأيتام* بالمكان المعادي، المكان الذي يغيب فيه الحنان الطبيعي والرعاية الفطرية .

[1]– الرواية، ص 128.

المبحث الثالث : الأماكن من حيث الإقامة والانتقال

المطلب الأول :

1. أماكن الإقامة

1.1 البيوت (بيت علاء ، بيت الايتام)

المطلب الثاني :

2. أماكن الانتقال

1.2 الشارقة

2.2 الملعب

المبحث الثالث: الأماكن من حيث الإقامة والانتقال.

المطلب الأول: أماكن الإقامة

1)-**البيوت** : يُطْلق مُصطلح البيوت على جميع الأماكن التي تحقق فيها الشخصية الاستقرار والمكوث ،فهي تمثل مظهراً من مظاهر الحياة الداخلية لكل فردٍ من الأفراد،<< فمن الخطأ مثلا النّظر إلى البيت كركام من الجدران والأثاث ،يمكن تطويقه بالوصف الموضوعي والانتهاء من أمره بالتركيز على مظهره الخارجي، وصفاته الملموسة مباشرةً ،لأنّ هذه الرؤية ستنتهي على الأرجح إلى الإجهاز على الدلالة الكامنة فيه وتُفْرغه من كل محتوى>>[1].

فالبيت له دلالات تاريخية بموقعه و ذكرياته ومن أمثلة البيوت في الرواية نجد:

أ) بيت علاء: يمثل له الأنس، وفيه ذكرياته الجميلة، وفيه زهرتيه ليلى وأميرة «هو عائد الآن إلى منزله وفي يديه لُعبتان لابنتيه ليلى وأميرة»[2] وفيه كذلك جوّ المرح والسعادة والبراءة «يغادر المكتب إلى جوّ المرح والبراءة، وكانت ليلى ذات الأربع سنواتٍ لا تنام إلاّ على قصة يحيكها الوالد، ولو من بنات خياله... وكانت أميرة تضحك وهي لم تفهم شيئاً مما قال أبوها فيضحك الأب والأم معاً >> [3] فبيت علاء أكثر من بيت للإقامة فقط ، بل فيه قطعتان من كبده وزوجة حنون ،البيت عند علاء هو الاستقرار هو الثبات هو السكينة ، هو المنطلق والقاعدة الخلفية لمواجهة الحياة.

بيت الأيتام:

يمثّل هذا المكان ملاذاً لمن لا عائلة له، فيتحول هذا البيت إلى عائلة، ومن يُقيمُ فيه إلى إخوة، ومن يسكنه يسافر في رحلة البحث عن أقرب الناس إليه "الوالدان" أو أحدهما، فقد جاء في الرواية

[1]- بحراوي حسن ، المرجع السابق، ص 43.

[2]- الرواية، ص20

[3]- الرواية، ص21

عن عيسى «لا يعْرف أصله ولا والديه، يعرف الآن شيئاً واحدًا هو أنّه وُجِد ببيت الأيتام... وأنّه يوماً ما سيعثر على والديه و أمّه بالخصوص »[1]، فكان دائما يتساءل عن ذنب لم يرتكبه ،لكنه يتجرع مرارته ، وسط مجتمع قاسٍ ينعته بمختلف الأوصاف الشنيعة ، ورغم ذلك لم يفقد الأمل في لم شمل الوالدين أو أحدهما على الأقل .

ويتشارك عيسى في هذا الوضع مع صديقه إبراهيم «يكبُر عيسى ويدرك أنّ صديقه يسكن «ببيت الأيتام» أو كما يسميه بعضهم مركز« الطفولة المسعفة » تألّم عيسى كثيراً منذ صباه الأول حين أدرك أنّ صديقه يتيم من دون والدين ومن دون بيتٍ أيضا... لم يكن أحدهما يملك بيتاً ليدعو الآخر إليه ،الشارع يليق بهما» [2]وشكّل هذا المكان حافزاً ودافعاً للنجاح، ومنطلقاً للتحدّي «عليك أن تتحدى وتثأر وتبرهن لهم وللعالم كله، بأننا وإنْ كُنّا مجهولي الأنساب ،إلا أننا أبناء أصلٍ، ولنا ما يحفظ لنا مكانتنا بهذا المجتمع>>[3].

[1]– الرواية ،ص81.

[2]– الرواية، ص99.

[3]– الرواية ،ص 101.

المطلب الثاني: أماكن الانتقال:

هذه الفضاءات تزيد من انتقال الشخصية، بحيث تتوالد فيها الأماكن، ويتداخل بعضها ببعض، وهي نوعان :

أماكن انتقال عامة :وهذه الأماكن تتميز بالعمومية كالمدن، والساحات... ومن ميزات هذا المكان الانفتاح والانطلاق والتحرر.

أماكن انتقال خاصة :وهذه الأماكن لا يدخلها إلا فئة خاصة من الشخصيات، على عكس الأماكن العادية، وفيها تبني الشخصيات وضعها في المكان الانتقالي الخاص، الذي تتواجد فيه وإذا رجعنا إلى الرواية نجد أمثلة عما تقدم منها:

الشارقة :هي مكان للتتويج والمُتعة والتحفيز بالنسبة لعلاء، حيث نال فيها جائزة الإبداع الأدبي، فكان ذلك حين سأله ابن أخيه فاتح عن موعدها «ومتى تسافر إلى إمارة الشارقة لاستلام جائزتك؟ نهاية الشهر بحول الله... والله تستحق يا عمّاه كل خيرٍ،أنصحك أن تتمتع هناك» [1].

الملعب:

ملعب "الحُرية" بجنوب افريقيا، هذا المكان الذي حقق فيه إبراهيم حُلمه، وحلم الجماهير من خلفه وفرح هو، ووهب الفرحة للوطن بأكمله «... إبراهيم يحمل شارة قائد الفريق، يردد مع زملائه النشيد الوطني، وعيناه إلى المنصة الشرفية، وقد لمح رئيس الجمهورية الذي التحق بالفريق إلى هنا مشجعاً!! وكان كثيرٌ مما يدور في رأس الرئيس الآن هو ما تخبئه رجلا إبراهيم خصوصاً وأرجل زملائه !!»[2] وفعلاً لم يخيّب إبراهيم ظن رئيس الجمهورية، وظن الجماهير الغفيرة «يسجّل إبراهيم في الدقائق الأخيرة هدف الفوز والانتصار، ويلتهب الملعب ويعلو الصّداح والهتاف باسمه، ويقوم

[1]– الرواية، ص 71.

[2]– الرواية، ص 191.

رئيس الجمهورية من مكانه منتفضاً بجنون رياضيّ شابٍ ،ويجري إبراهيم في الميدان ويرفع قميصه ينزعه، ويبقى القميص الداخلي وعليه «علامة استفهام كبيرة حمراء حيّرت الجميع»[1].

[1]– الرواية ،ص194.

الفصل الثاني :المكان والعناصر الروائية في رواية " خطيئة مريم " لعلاوة كوسة" .

المبحث 01 : المكان والشخصيات

المبحث 02: المكان والوصف

المبحث 03 : المكان والزمان

الفصل الثاني: المكان والعناصر الروائية في رواية "خطيئة مريم" لعلاوة كوسة

المبحث الأول: المكان والشخصيات

الإنسان يتصل بالمكان في أيّة لحظةٍ من اللحظات في العالم الحقيقي، كذلك هذا الاتصال في النص الحكائي؛ فالشخصية هي عنصر فني ينتمي إلى بيئة مكانية، تتحرك فيها وتنتقل منها وإليها، وتعمل على التأقلم معها، فالشخصية متصلة بالمكان مثل اتصالها ببقية العناصر الأخرى.

يرى "فيليب هامون" أنّ وصف المكان، يحفّز الشخصية على القيام بالحدث، ويذهب كذلك إلى أنّ وصف البيئة المكانية يُعدّ بمثابة وصفٍ لمستقبل الشخصية، فالكاتب أثناء تقديمه للمكان من خلال عملية الوصف، فإنه يعرّف بطريقة غير مباشرة على المُستقر الذي ستؤول إليه الشّخصية الروائية.

والمكان يدلّ على حالة الشخصية ؛ فمثلا الشّخصية التي تسكنُ القُصور والحدائق ليست كالشخصية التي تعيش في غرفةٍ واحدةٍ ضيقة في أوضاع جد صعبة «فالمكان يعكس حقيقة الشخصية ، ومن جانبٍ آخر إنّ حياة الشخصية تُفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط بها»[1].

وفي هذا السياق يرى لحميداني حميد « أنّ المكان هو لسان صاحبه»[2] وهو الذي يساعدنا على فهم الشخصية، ويؤكد هذا الطرح بحراوي حسن «إنّ تقديم الأماكن في الرواية يأتي مرتبطاً بتقديم الشخصيات، فإنّ هذه الأخيرة لا تخضع كُلياً للمكان على العكس هو الذي سيحصل ،إذ أنّ الأماكن في هذه الحالة هي التي سيوكل إليها مساعدتنا على فهم الشخصية»[3].

والشخصية في رواية" خطيئة مريم "حاضرة بقوة وذلك من خلال الأمكنة التي تم التطرّق لها، والتي قدّمها الكاتب متتابعة مع الأحداث، ومن أمثله ذلك قرية "رمادة " التي تقع بين جبلين هما "جبل القطّار" و"جبل براو" هذه القرية هي مسقط رأس علاء، فهي كما وصفها «مسقط القلب

---

[1]– قاسم سيزا ،بناء الرواية– دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،مصر ط 1984ص119 .

[2]– لحمداني حميد ، المرجع السابق، ص 70.

[3]– بحراوي حسن ، المرجع السابق، ص60.

ومرفع الرأس»[1] فقد تعلّق علاء بهذه القرية وأحبّها لأنّه كبُر وترعرع فيها؛"رمادة" مسقط قلبه وحنينه ورأسه ،هنالك أصدقاؤه وأهله، وزملاؤه في الدراسة والرعي وكرة القدم أحياناً « "رمادة" القرية الصغيرة التي تقع على الطريق الوطني بين مدينتين كبيرتين، وعادة ما يتموضع الصغار بين الكبار في أول المسيرة»[2] وقد ارتبط علاء بكل ما تحويه هذه القرية حتى بالجبلين" القطّار " و"براو" الذي يُحسّ بأنهما يحرسانه هو وقريته الصغيرة <<كلما دخل علاء "رمادة" من الجهة الغربية كان جبل "القطّار" عن يمينه شامخاً، وجبل "براو" عن يساره موغلاً في الآفاق، يُحسّ أحياناً بأنّ الجبلين يحرسانِ القرية ربما، أو يحرسانه!!»[3].

فقد تعلّم في المراعي والجبال: الرعاية والأمانة والرأفة والسؤال؛ ومن أبرز الشخصيات التي ارتبطت بالمكان هو شيخ القرية" الشيخ سليمان" الذي ارتبط بالصخرة والمكان المرتفع المُطل على القرية والوادي الذي يقسمها إلى نصفين، وكان يصفه علاء بالمقام الزكي «... هو ذلك الشيخ الهرم المتكئ على عصاه الموغلة في الصبر والذاكرة، كان الشيخ سليمان وما زال مُذْ كُنت طِفلاً يتخذ من عصاه مُتكأ، ومن الصخرة مكاناً علياً ينظر من خلاله القريةَ وهي تُشقّ نِصفين...»[4]ومن بين الأماكن التي أثرت على شخصية علاء، نجد مقبرة" سبع عيون "وكان علاء شديد الارتباط بها، وكثير التردد عليها بنوع من الهدوء واسترجاعٍ للذّكريات ومخاطبة من فَقدَهُمْ «المقبرة لم تعد في نظري مكاناً نودع فيه موتانا ونرحل حاملين الأسى ...المقبرة صارت وديعة معي كثيراً، تحضن أحبتي أهلي وأصدقائي، تساوي بينهم في شبر الأرض الذي يشغلونه، تجمع بين الصّغار والكبار، بين الفقراء والأغنياء، بين المشدودين إلى الحياة الدنيا وبين الموصولين بالدار الآخرة....»[5]فالمقبرة ألقت بظِلال السّكينة والهدوء على قلب علاء، واحتضنته كما احتضنت من يُحبّهم ، من خلال قُرْبه من قبورهم ومحاورتهم ،إلاّ أنّهم أموات ؛ وهي كذلك بالنسبة له مناسبة للذكرى والاعتبار من حال

[1]– الرواية، ص17.

[2]– الرواية، ص18.

[3]– الرواية ،ص18.

[4]– الرواية، ص32.

[5]– الرواية، ص74.

الدُنيا وحال من عليها من البشر ، كما أنّ لأسماء الشخصيات في رواية "خطيئة مريم " دلالات نوجزها فيما يلي :

- مريم (الأم) وعيسى (الابن) ، مستوحاة من قصة السيدة مريم البتول وابنها المسيح ، في تعامل المجتمع ونظرته لهذه القضايا ، فعيسى المسيح بريء ، وعيسى في الرواية بريء ، لا ذنب له كذلك، والسيدة مريم العذراء بريئة مما اتهمها به القوم ، كما أنّ مريم في الرواية لا تتحمل الخطيئة وحدها.
- الشيخ "سليمان "، الرجل الحكيم ، الذي يعرف كل صغيرة وكبيرة عن القرية وتاريخها، وطالما ذهب إليه "علاء " كلما ضاق به الحال ، فكل واحد منّا عنده الشيخ سليمان ، الذي يمده بجرعة الأمل ويشعره بالسكينة .
- "حياة "وبرنامجها الإذاعي الذي يعيد الحياة من جديد لفئة من الناس طالما عانت من الفراق والحرمان والتشتت.

المبحث الثاني: المكان و الوصف

لا ريب أنّ الوصف عنصر رئيس في العمل الروائي ،إذ لا يمكن تجاهله حتى في الأجناس الأدبية الأخرى فالوصف تقنية فعالة للتوضيح و التفصيل والتدقيق وهو عنصر أساس في المتن الروائي: <<لا يمكن تصور وجود مقطع سردي خال تماما من الوصف لأن الأفعال في حد ذاتها يمكن أن تكون حاملة لصورة وصفية>>[1]؛أي أن المكان و الوصف تربطهما آصرة متينة وفي هذا السياق قال حبيلة الشريف عن الوصف: <<هو الأداة التي تشكل المكان.>>[2] ، كما قال لحميداني حميد في نفس الصدد: <<ضوابط المكان في الروايات المتصلة عادة بلحظات الوصف وهي لحظات متقطعة أيضا تتناوب في الظهور مع السرد أو مقاطع الحوار ثم أن تغير الأحداث وتطورها يفترض تعددية الأمكنة و اتساعها أو تقلصها حسب طبيعة موضع الرواية>>[3].

استعان الروائي علاوة بالوصف بطريقة أقل ما يقال عنها أنها تلفت الانتباه وتشد الخيال وتأسر العقول و ذلك في عدة مقاطع من روايته "خطيئة مريم" وسوف نختار بعضها لنؤكد على العلاقة بين الوصف والمكان.

وصف قرية رمادة و الجبلين :

تعد قرية رمادة مسقط رأس علاء ؛ حيث المولد ،و الطفولة و الدراسة الأولى ، نجد الروائي يصف هذا المكان في عدة مقاطع إذ يقول :<< رمادة ، القرية الصغيرة التي تقع على الطريق الوطني بين مدينتين كبيرتين ، و عادة ما يتموضع الصغار بين الكبار في أول المسيرة ، رمادة هادئة بيوتها المتناثرة على سهول خصبة غناء على مدار العام ، مازالت تقع – من أول ما فتح علاء عينيه – بين جبلين ناتئين بشكل أسطوري من شساعة و انبساط تلك السهول ، كلما دخل علاء رمادة من الجهة الغربية كان جبل *القطار* عن يمينه شامخا ، و جبل *براو* عن يساره موغلا في الآفاق ، يحس أحيانا بأن الجبلين يحرسان القرية ربما ، أو يحرسانه كان في صباه يتبع

[1]– عاشور عمر ، المرجع السابق، ص 150.

[2]– حبيلة الشريف: المرجع السابق، ص 197.

[3]– لحميداني حميد: المرجع السابق، ص 92.

قطيع أغنامه إلى هذين الجبلين ، لا يعرف إلى الآن سببا ما جعله يتوجه جنوبا إلى جبل *القطار* في الصباح راعيا ، و يفضل رعي أغنامه مساء في سفوح جبل *براو*!؟>>[1].

إن المتأمل في هذا المقطع من الرواية يدرك أن الروائي و هو يصف مسقط رأس علاء *رمادة* وعلاقته بالجبلين ، إنما يريد أن يبين لنا مدى تأثير قريته في حياته ، فضلا عن نقل صورة جميلة عن هذه القرية فاستعماله للمفردات : هادئة ، وخصبة ، وشامخا ، والآفاق ، تدل على جمالها و رونقها دون أن ننسى مشاعر الاعتزاز بالنفس وهو يمارس مهنة الأنبياء و الرسل . ثم يردف الروائي في مقطع آخر واصفا الجبلين اللذين يحرسان مسقط رأس علاء :<<كان جبل *القطار* عاليا في كبرياء ، و ما أصغر القرية التي جئت منها و الأهل الذين كنت منهم .. و كان يقابلنا هنالك خلف القرية جبل *براو* المتعالي نحو السماء بجبروت.. تقابل الجبلان ليضما قرية صغيرة ملأت قلبي حبا ، و مازالا يشهدان كل رغبة واد تلك السيول العابرة للقرية مخلفة رهبة .. و دهشة و خوفا >>[2]. إننا نجد علاء –و هو يصف الجبلين و القرية – مفتخرا أيما افتخار بمسقط رأسه و لقد استطاع أن يصل إلى ذلك المبتغى بآلية الوصف.

وصف الوادي الكبير :

هو واد في قرية *رمادة* يقسمها إلى قسمين ، كان الشيخ سليمان و بعض من أهل القرية يتوجسون خيفة منه في حال فيضانه و عاقبة السوء التي قد تنجر وراء ذلك ، يقول الروائي وهو يصف هذا الوادي :<< وخرج الأهالي من بيوتهم ينتظرون تدفق الوادي الكبير الذي كان يشق القرية نصفين ، لقد ألفوا هديره و قسوته أحيانا ، و لكنهم يتمتعون بعبوره كلما تساقطت الأمطار بكثرة ، كان بعض الأطفال يقفون بعيدين عن ضفتيه خوفا و رهبا ، لكن ينتظرون دائما أن يحمل إليهم أشياء كثيرة من أماكن بعيدة ، فمرة يحمل العجلات المطاطية ، و مرة بقايا ألعاب لم تعد صالحة للعب ، و لكن الكبار يعرفون أن الوادي بمياهه الجبارة يحمل ما لا يسرهم أحيانا من فضلات المصانع ، و نفاياتها ، و فضلات الناس حين يرمون بها بين أحجار الوادي ، لينقلها إلى

[1]- الرواية ، ص 18.
[2]- الرواية ، ص 40، 41.

بلد بعيد>>[1] .بوصفه لهذا الوادي الكبير بقريته يريد الروائي *علاوة كوسة* أن يشخص لنا الحالة النفسية لأهالي قريته أثناء سقوط أمطار معتبرة إذ تمتزج بين الاستمتاع بالمنظر و الرهبة و الخوف من العواقب و لقد أشارت الرواية إلى ذلك في متنها :<< قلت لهم ألف مرة إن الوادي خطر على القرية ، و أن الحلول يجب أن تكون عاجلة ، و يجب أن تكون الدراسات دقيقة كي لا يتكرر الخطأ و العبث بأموال الناس أيضا >>[2].لقد كان هذا كلاما من أهل الاختصاص من المهندس فاتح أحد شخصيات الرواية .

وفي الرواية مقاطع عديدة تتعلق بوصف المكان كالجامعة و الغرفة التي سنذكرهما كمثالين لتوضيح العلاقة بين الوصف و المكان: <<يدخل قاعة المحاضرات دقائق قبل الوقت الرسمي يحيي الطلبة... يجيئون كل خميس نشطين مبتسمين للحياة كان بعض الذكور يفضلون الجلوس في الصفوف الوسطى أو الأخيرة وتحرص الطالبات على الجلوس في الصفوف الأولى يذكر ملامح بعضهم ويذكر أسماء كثيرة من طلبته ويقرأ أحلامهم وتصرفاتهم وصمتهم وكلماتهم مثلما يقرأ النصوص ويحللها.>>[3]

فمن خلال هذا المقطع الذي يصف فيه الراوي طلبته وهو في قاعه المحاضرات يحاول فيه أن يوضح العلاقة المتينة التي تربط الأستاذ علاء بطلبته وحرصه الشديد على معرفة كل صغيرة وكبيرة تخصهم كما أراد أن يبين مدى انضباطه واتقانه في عمله وفي مقطع آخر يقول:<<حين خلت مريم بذاكرتها في غرفة نومها سعدت لأن جدتها قضت يوما جميلا على غير العادة وأنها نامت في أول استلقاء على سريرها المريح وفي وجهها فرح جميل وراحت تستعيد شريط هذا اليوم الرائع كيف أنها التقت أستاذها صدفة وقضت رفقته وقتا ممتعا.>>[4].

[1]- الرواية ،ص 30.
[2] -الرواية ، ص 36.
[3]– الرواية، ص 14.
[4]– الرواية، ص 29.

أراد الروائي "علاوة كوسة" في هذا المقطع من المتن الروائي أن يعبر لنا عن فرحة مريم الكبيرة وهي في غرفتها حيث تطلق العنان لتلك الفرحة بعد لقائها مع أستاذها علاء رفقة جدتها وهم جميعهم في حديقة المدينة.

المبحث الثالث: المكان والزمان

لا يمكن فصل الزمان عن المكان في أي عمل روائي فهما متلازمان تلازم الروح والجسد ومن المستحيل أن تكتمل رواية دون وجود هذا الرابط المتين بين الزمان والمكان <<المكان والزمان عنصران متلازمان بالضرورة فلتحديد معالم قضية ما لابد من اللجوء من الناحية المنطقية إلى عاملين مشتركين هما الزمان والمكان>>.[1]

و المكان لا يمكنه أن يتجلى في العمل السردي بمنأى عن العناصر السردية الأخرى ، فثمة رابطة متينة بينه و بين هذه العناصر و من بينها الزمان ، وسنتطرق إلى هذه العلاقة التي تربطهما ببعضهما باعتبارهما من أهم مكونات العمل السردي معتمدين في ذلك على آراء مجموعة من النقاد ليوضحوا لنا تلك العلاقة بين المكان و الزمان و لنبدأ بقول بحراوي حسن : <<المكان الروائي لا يعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد ، و إنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسارد كالشخصيات و الأحداث و الرؤى السردية و عدم النظر إليه ضمن هذه العلاقات و الصلات التي يقيمها يجعل من العسير فهم الدور النصي الذي ينهض به الفضاء الروائي داخل السرد و لذلك فإن الزمن الروائي لا يعيش منعزلا عن باقي عناصر السرد فالشخصيات التي تتأثر بمكان ما فإنها لا تتأثر به إلا من خلال فعل الزمان في ذلك المكان فالزمان هو ما جعل منه صرحا عالي البنيان أو ما أحاله إلى خراب أو تفاعل عنه >>[2].

يصور لنا الناقد في هذا الرأي المكان كأنه كائن حي، وذلك لاستعماله لفظة يعيش إضافة إلى أن الإنسان لا يمكنه أن يعيش إلا في وسط علاقات تربطه بالآخرين فكذلك عنصر المكان في

[1]– جنداوي إبراهيم: الفضاء الروائي في أدب جبر إبراهيم جبرا، تموز دمشق، سوريا، ط10، 2013، ص 21–22.
[2]- بحراوي حسن ، المرجع السابق ، ص 26

العمل الروائي لابد له من تلك العلاقات المتداخلة مع باقي العناصر و نفس الشيء بالنسبة للزمان فهما معا يشكلان بناء شامخا في كل عمل روائي .

إنّ علاقة المكان بالزمان أو الزمان بالمكان أدى بالنقاد إلى ما يعرف بالزمكانية، و التي شبهت بـ : <<ساعة الرمل و محتواه حيث تمثل آخر ذرة لسقوط الرمل مدة زمنية بينما يكون الرمل نفسه مكانا>>[1] .

ويؤكد هذا الكلام قول عبد القادر بن سالم في تحديد العلاقة بين الزمان والمكان : <<علاقة متداخلة ويستحيل أن نتناوله بمعزل عن تضمين الزمان كما يستحيل تناول الزمان في دراسة تنصب على عمل سردي دون أن لا ينشأ عن ذلك مفهوم المكان في أي مظهر من مظاهره>>[2]. وفي نفس السياق يقول نور الدين صدوق: << تنهض الرواية على إيلاء الأهمية للزمن في ذات الآن نلفيها لا تضحي بعنصر المكان فالزمان والمكان يتلاحقان في النص الروائي>>.[3] وهذا يعني أن هناك علاقة توصف بالوطيدة بين الزمان والمكان فهما وجهان لعملة واحدة لا يمكن أن ينفصما.

وتظهر علاقة الزمان بالمكان في رواية "خطيئة مريم" في مواضع مختلفة سنذكر بعضها:<<تحضن صديقك بقوة لم تلتقيا منذ أكثر من شهر منذ آخر ندوة بكلية الآداب حيث جمعتكما المنصة معا بين صرامة الاكاديميين وجنون الشعراء>>[4] ، فالزمن هو الشهر في هذا المقطع شهر من الفراق بين الصديقين أما المكان فهو الكلية التي كانت تجمع بينهما و المزج بين الزمان والمكان في هذا المقطع ليبين لنا الروائي تلك المودة والرابطة الأخوية التي تجمع الصديقين ويقول الروائي في موضع آخر: <<مساءها كان علاء عائدا من مدينة قسنطينة إلى قريته "رمادة" فرحان يريد الطيران ومتفاجئا يريد البكاء>>.[5]

---

[1]- النعيمي أحمد : إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 2004 ،ص75.

[2]– بن سالم عبد القادر: مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الحديث، ص95.

[3]– صدوق نور الدين: البداية في النص الروائي، دار الحور للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا ط1، 1994، ص 46.

[4]– الرواية، ص 17.

[5]– الرواية، ص 29.

وبالنظر إلى هذا المقطع تظهر لنا العلاقة بين الزمان *مساء* والمكان *قسنطينة* و مسقط رأسه "رمادة" و توضح لنا مدى شوق علاء إلى قطع الزمن بسرعة ليصل إلى مسقط رأسه رمادة شوقا و صبابة وتلهفا لرؤية الأحباب و الخِلّان و الأصحاب . لا يسعنا المقام لذكر جميع المقاطع التي تثبت العلاقة بين المكان والزمان في المتن الروائي .

الخاتمة :

إنّ الجهد الذي بذلناه في دراستنا لهذا الموضوع " بنية المكان في الرواية " رواية ـ خطيئة مريم ـ أنموذجا للأستاذ " علاوة كوسة " أمكننا من التوصل إلى النتائج الآتية:

* رواية " خطيئة مريم " ، رواية جزائرية اجتماعية حقيقية ، تعالج موضوعا بالغ الأهمية ألا وهو ارتكاب الخطيئة في المجتمع الجزائري ، و نظرة الناس إلى من لا ذنب له في ذلك .

* تبدو شخصية " علاء " ـ وهو نفسه الروائي علاوة كوسة ـ شخصية محافظة مليئة بمشاعر العطف و المودة و التآلف ، صفات ورثها من بيئته و في مسقط رأسه المتعلق به أيما تعلق .

* المكان من أهم الأركان التي تشكل بنية النص الروائي ، فهو يربط أجزاء النص الروائي ببعضها

* غلبة الأماكن المفتوحة في الرواية ، مثل الحديقة والمقبرة والصحراء ... وكل واحد منها يحمل دلالات في نفسية الروائي .

* علاقة المكان بالشخصيات قوية ؛ لانها توضح لنا ملامح الشخصيات ، وقد يتشكل المكان اعتمادا على ملامحها .

* علاقة المكان بالوصف وذلك من خلال وصف الروائي للعديد من الأماكن التي اكتشفنا دلالاتها من خلال هذا الوصف .

* علاقة المكان بالزمان متناغة ومتاكملة

* الأماكن المعادية و الأليفة لا تحمل دلالتها من تسميتها و إنما من الحالات النفسية للشخصية.

* أسلوب الروائي " علاوة كوسة " ، مشوق، غني بالتناص الديني.

ملخص متن الرواية :

رواية "خطيئة مريم "لعلاوة كوسة" ؛ رواية واقعية عالجت قضية اجتماعية حساسة ،من المواضيع المسكوت عنها في المجتمع الجزائري ،فجعل " علاء " هذه الرواية ،فضاءً للحديث عن الابن غير الشرعي المتمثل في شخصيتي "عيسى " و "إبراهيم" والصعوبات التي تواجه هاتين الشخصيتين ونظرة الناس إليهما ، وحجم الفراغ التي خلّفته لحظة طيش عابرة ، تحملا وزرها ، هُمَا، ولم يكونا سببا فيها ، وكذا معاناة المرأة الفاقدة لشرفها ، في وسط مجتمع ينظر إليها نظرة المتسبب ،ويحمّلها الخطيئة كاملة ويغضّ الطرف عن الرجل الذي يهددها حتى بالبوح ، خوفاً من تلطخ سمعته في المجتمع ، ضارباً سمعتها عرض الحائط ، هاتان الشخصيتان هما : مريم و الدكتور عبد الرحيم .

قائمة المصادر والمراجع :

- القرآن الكريم ، رواية حفص عن عاصم

أولاً : المصادر :

كوسة (علاوة)، خطيئة مريم ، دار الراوي ، مصر ، ط1 ، 2017

ثانياً : المراجع :

1- باشلار (غاستون) جماليات المكان، تر، غالب هلسا المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع بيروت لبنان ط2، 1984

2- بحراوي (حسن)، بنية الشكل الروائي(الفضاء ،الزمن ، الشخصية)المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ،ط3 ،2009

3- بوعزة (محمد)، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، دار الايمان الرباط المغرب ط1، 2010.

4- جنداوي (إبراهيم): الفضاء الروائي في أدب جبر إبراهيم جبرا، تموز دمشق، سوريا، ط10، 2013.

5- جنيت (جيرار) وآخرون ،الفضاء الروائي، تر ،عبد الرحيم حزل ، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء ،المغرب ،د ط،2008.

6- حسن خضر(خالدة) ، المكان في رواية الشماعية، جامعة بغداد، كلية الآداب ط2 ،2012.

7- الخفاجي (أحمد رحيم كريم)، المصطلح السردي في النقد العربي الحديث،دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع،ط1 ،2012.

8- الزبيدي(مرتضى)، تاج العروس، مج18، باب النون ،تح على بشيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د ط ،1994.

9- زيتوني (لطيف)، معجم مصطلحات نقد الرواية مكتبة لبنان ناشرون ، دار النهار للنشر ، ط2002 .

10- بن سالم (عبد القادر)، مكونات السرد في النص القصصي الجزائري الحديث،بحث في التعريب وعنف الخطاب عند جيل الثمانينات،منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا ،د ط ،2001.

11- السعدون(نبهان حسون)، المكان في قصص علي الفهادي، دراسة تحليلية،مجلة دراسات موصلية ،كلية التربية الأساسية ،جامعة الموصل ، العدد 29 ،2010 .

12- سيزا(قاسم) ، بناء الرواية- دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، د ط، 1984.

13- الشريف (حبيلة)، بنية الخطاب الروائي، دراسات في روايات نجيب الكيلاني ،عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن ، ط1 ، 2010.

14- صدوق(نور الدين)، البداية في النص الروائي، دار الحور للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا ط1، 1994.

15- الطربولي (محمد عيد) ، المكان في الشعر الأندلسي(من عصر المرابطين إلى نهاية الحكم العربي)، مكتبة الثقافة ، القاهرة ،ط1 ،2005.

16- عاشور (عمر) البنية السردية عند الطيب صالح ، البنيه الزمانية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر ،د ط، 2010.

17- عبيد (محمد صابر) ، مغامرة الكتابة في تمظهرات الفضاء النصي،دار غيداء للنشر والتوزيع ،عمان ، الأردن ، ط1 ،2016.

18- العبيدي (عبد العزيز) : الرواية العربية في البيئة المغلقة (رواية الأسر العراقية أنموذجا) دراسة فنية ، ط1 دار فضاءات ، عمان 2009.

19- القاضي(محمد)، مجموعة مؤلفين، معجم السرديات ط 1 ،2010 الرابطة الدولية للناشرين.

20- لحميداني(حميد)، بنية النص السردي من منظور النقد الادبي ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب، ط3، 2000.

21- مبروك (مراد عبد الرحمن) ، جيوبوليتكا، النص الأدبي،دار الوفاء للطباعة والنشر ،ط1 ،2002.

22- مرتاض(عبد المالك) ، في نظريه الرواية، بحث في تقنيات السرد ، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب ،الكويت،دط،1998.

23- ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين) لسان العرب، مج06 ، دار صادر بيروت، لبنان ، ط1، 1997

24- نجمي(حسن)، شعرية الفضاء السردي، (المتخيل والهوية في الرواية العربية)، المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،المغرب،ط1 ،2000.

25- النصير(ياسين) ، الرواية والمكان، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، دط، 1989.

26- يقطين (سعيد)، قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ، المغرب ط :1 ، 1997.

الفهرس

المحتـــــــوى	الصفحة
مقدمـــــــــــــة	أ
المدخل : المكان والمفاهيم المجاورة	2
1.المكـــــــان	2
1.1. لغة	2
1.2.اصطلاحـــا	4
2. الحيـــــــرّ	5
1.2. لغـــــة	5
2.2. اصطلاحـا	5
3. الفضـــــاء	6
1.3. لغـــــة	6
2.3.اصطلاحـا	7
الفصل الأول : أنواع الأماكن في رواية "خطيئة مريم "	8
المبحث الأول: الأماكن من حيث الانغلاق والانفتاح	8
المطلب الأول : 1.الأماكن المغلقة	9
1.1. الجامعـــة	9
2.1. المنـــــزل	10
3.1. الغرفـــــة	10
4.1. الفنـــــدق	11

5.1. المستشفى	12
6.1. السجـــــن	12
المطلب الثاني : 2. الأماكن المفتوحة	14
1.2. المدينـــــة	14
2.2. إمارة الشارقة	15
3.2. القريـــــة	15
4.2. الحديقـــــة	16
5.2.الصحـــــراء	17
6.2. المقبـــــرة	17
7.2. الجبـــــلان	18
المبحث الثاني : الأماكن الأليفة والأماكن المعادية	19
المطل الأول : 1. الأماكن الأليفة	20
1.1. الحديقة	21
2.1. المقبرة	21
3.1.قرية رمادة	22
المطلب الثاني : 2. الأماكن المعادية	23
1.2.الصحراء	23
2.2.المستشفى	24
3.2. بيت الأيتام	25

المبحث الثالث : الأماكن من حيث الإقامة والانتقال	26
المطلب الأول : 1. أماكن الإقامة	26
1.1. البيوت (بيت علاء ، بيت الأيتام)	27
المطلب الثاني :2. أماكن الانتقال	29
1.2.أماكن الانتقال ، الشارقة	29
2.2. الملعب	30
الفصل الثاني: المكان والعناصر الروائية في رواية "خطيئة مريم"	32
المبحث الأول: المكان والشخصيات	32
المبحث الثاني: المكان و الوصف	35
المبحث الثالث: المكان والزمان	38
خاتمـــــــــــة	39
ملحـــــــــــق	41
المصادر والمراجع	43
الفهـــــــــرس	46

ملخص البحث :

خلاصة جهدنا المبذول في ما تقدّم يمكن جمعه في هذه الكلمات :

للمكان أهمية بالغة في العمل الروائي ، ولا يختلف في ذلك عدد لا بأس به من النقاد والدارسين ، وانطلاقا من هذه الأهمية التي يكتسيها المكان في كل عمل روائي ، صغنا الإشكالية المتعلقة ببحثنا الموسوم ب " بنية المكان في رواية "خطيئة مريم " أنموذجا للأستاذ كوسة علاوة ، وتمثلت هذه الإشكالية بدايةً بالمفاهيم ، أعقبتها أنواع الأماكن في هذا العمل الروائي ، ثم علاقة العناصر الروائية بالمكان ، مقدمين مقاطع من الرواية المدروسة نمثّل بها لتكون شاهداً ودليلاً على قولنا ومن خلال الإجابة عن الإشكالية أمكننا أن نصل إلى أنّ المكان مرتبط ارتباطا وثيقا بالعناصر الأخرى للرواية ، بل إنّ المكان بمثابة الروح للجسد ، أو هو حجر الزاوية فيها ، وكلما أحسن الروائي توظيفه في المتن الروائي ؛ زادت قيمة ذلك العمل .

الكلمات المفتاحية:

بنية المكان ، منهج سيميائي ، خطيئة مريم ، كوسة علاوة .